المجلس (٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ خَيرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يا معاشر الفضلاء إنه بغروب شمس اليوم تدخل علينا العشر الأَوْاخر المباركات؛ **وهذه الليلة تجتمع فيها ثلاثة أمور:**

1. **الأمر الأول:** أنها مُفتتَح العشر الأَوْاخر.
2. **والأمر الثاني:** أنها ليلةٌ وِترية.
3. **والأمر الثالث:** أنها ليلة الجمعة.

وقد ذَكَرَ العِلماء: أنه إِذَا وافقت الليلة الوترية ليلة الجمعة فهي أرجى لإصابة ليلة القدر، فهذِه الليلة من الليالي المرجوة عند المؤمنين، فأَوْصي نفسي وإخواني بالجد والاجتهاد فيها، والحرص عَلَىٰ الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، والتقرب إليه بما يُحِب ويرضى.

ومن جميل الفعل: لو أن المسلم إِذَا كان لا يريد الاعتكاف العشر الأَوْاخر كلها، فلو أنه في هذِه الليلة دخل المسجد عند المغرب ونوى الاعتكاف وبقي إِلَىٰ أن يصلي الصبح فإن هذَا من جليل الأعمال، ومن الأعمال الَّتِي يُجتهَد فيها في العشر الأَوْاخر.

✍ **والَّذِي دلت عليه النصوص أن أقل مدة الاعتكاف: ليلةٌ كاملة، أَوْ نهارٌ كامل.**

فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نذر أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقَالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»، وَهذَا أقل ما ورد في النصوص في مدة الاعتكاف، وَالنَّهَار مثل اَللَّيْل، فلو أن المسلم دخل المسجد عند المغرب ونوى الاعتكاف ليلة، ثُمَّ خرج بعد أن صلى الصبح فإنه يكون حصل له بذلك الاعتكاف، ولو انه دخل المسجد عند الفجر فصلى الفجر ونوى الاعتكاف في النَّهَار وبقي حَتَّىٰ صلى المغرب فإنه يكون قد حصل له الاعتكاف، واعتكاف اَللَّيْل خيرٌ وأفضل من اعتكاف النَّهَار.

فأَوْصي من يستطيع من إخواني أن يعتكف الليلة أن يحرص عَلَىٰ ذلك فإنها ليلةٌ مرجوة، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا جميعًا عَلَىٰ الاجتهاد فيها، والقيام فيها إيمانًا واحتسابًا، وأن يجعلنا مِمَن قُبِل عمله، وزُكيت نفسه، وأُعين عَلَىٰ الخير.

ثُمَّ معاشر الفضلاء درسنا في التفسير، حيث شرعنا في آخر مجلس في تفسير سورة: القلم، فأخذنا المقطع اَلْأَوَّلُ منها وفسرناه تفسيرًا موضوعيًا إيمانيًا وجدانيًا ثُمَّ وقفنا، فنُكمِل اليوم إِنْ شَاءَ اللهُ فنأخذ تفسير الآيات مع التعليق عَلَىٰ ما ذكره الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

قَالَ الشيخ السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يُقسِم تعالىٰ بالقلم، وهو اسم جِنسٍ شامل للأقلام، الَّتِي تكتب بها أنواع العلوم، ويُسطَر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، الَّتِي تستحق أن يقسم الله بها، علىٰ براءة نبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، مِمَّا نسبه إليه أعداؤه من الجنون فنفىٰ عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث مُنَّ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل، الَّذِي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثُمَّ ذَكَرَ سعادته في الآخرة.

(الشرح)

نون هٰذَا من الحروف المقطعة في أَوْائل السور، فهناك سورٌ تبتدأ بحروف ليست كلمات، وإِنَّمَا هي حروفٌ مقطعة: الم، ص، ق، ن، كهيعص، يس، فَهٰذِه حروفٌ مقطعة في أَوْائل السور، **وأقوىٰ ما قيل فيها قولان:**

☜ **القول الْأَوَّلُ:** أن هٰذَا من باب التحدي للعرب.

وذلك أن القرآن إِنَّمَا هو من هٰذِه الحروف الَّتِي هي حروفهم ويعرفونها، ومع ذلك يعجزون عن أن يأتوا بمثل القرآن، أَوْ أن يأتوا بسورةٍ من مِثله حَتَّىٰ لو اجتمع فُصحائهم عَلَىٰ هٰذَا الأمر، ويؤيد ذلك أيها الإخوة انه دائمًا إِذَا ذُكِرَت الحروف المقطعة فإنه يُذكَر بعدها القرآن إِمَّا أن يُقسِم به الرحمن، وَإِمَّا أن يُخبر عنه الرحمن، **إِلَّا في موضعين من القرآن لم يُذكَر بعد الحروف المقطعة القرآن:**

☜ **أَمَّا أَوْلهما:** فهو هٰذَا الموطن الَّذِي معنا؛ نون والقلم.

☜ **وَأَمَّا الثَّانِي:** فهو في سورة: مريم؛ كهيعص، فلم يُذكَر القرآن عقبها، وَأَمَّا في بقية المواطن فكلما ذُكِر الحرف المقطوع ذُكِر القرآن عقبه، وهٰذَا يؤيد هٰذَا القول الَّذِي ذكرناه.

☜ **والقول الثَّانِي:** أنها من المتشابه الَّذِي استأثر الله عَزَّ وَجَلَّ بعلمه.

ولذلك يقول بعض المفسرين: اللهُ أَعْلَمُ بمراده منها، وبعض المفسرين ذكروا أمورًا بعيدة، مثلًا قَالَ بعض أهل العِلم: نون يعني: والحوت، فمن أسماء الحوت: نون، فيقولون: هٰذَا قَسمٌ بالحوت لأنه أكبر المخلوقات في الأرض، وبعضهم ذَكَرَ شيئًا بعيدًا جدًا، قَالَوا: هٰذَا قَسمٌ بحوتٍ مخصوص، وهو حوتٌ كبير تحت الأرض فُرِشَت عليه الأرض، لكن هٰذَا القول بعيد وليس عليه دليل.

(**وهو اسم جِنسٍ شامل للأقلام**)؛ قيل إن هٰذَا هو جِنس القلم، وإِذَا قيل جِنس القلم يعني: كل قلم، فهو قَسَمٌ بكل قلم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: بل هٰذَا قَسَمٌ بقلمٍ مخصوص؛ وهو: القلم الَّذِي خلقه عَزَّ وَجَلَّ أَوْل ما خلق، وأمره أن يكتب المقادير، والأظهر: اَلْأَوَّلُ أنه جِنس القلم، وهٰذَا أَيُّهَا الإخوة ينفي أن يكون

المقصود بأُمَّةُ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيُّونَ»؛ ينفي أن يكون المقصود بالأُمَّيةُ هنا: أنها لا تعرف القراءة ولا الكتابة.

فالله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بالقلم وأقسم بالمكتوب، وهٰذَا يدل عَلَىٰ: أنها أُمَّةُ قراءة وكتابة، نعم نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب وهو الوحيد في الدنيا الَّذِي يُمدَح بهٰذَا؛ لأنه مع كونه لا يقرأ ولا يكتب جاء الناس بما أعجز جميع القُراء وجميع الكتبة، فلو اجتمع جميع الَّذِين يقرأون من أول ما خلق الله الناس إِلَىٰ يوم القيامة، والَّذِين يكتبون ما جاءوا بمثل ما جاء به مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهٰذَا إعجازٌ في حقه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا الأُمَّة فليس المقصود بأميتها: أنها لا تقرأ ولا تكتب، بل الأُمَّة أُمَّةُ عِلم تقرأ وتكتب وتُعظِم شأن القلم، وتُعظِم شأن الكتاب، ولكن المقصود بالأُمية في الأُمَّة: أن دينها معلق بالأمور الظاهرة الَّتِي يدركها كل أحد، فنحن نصوم إِذَا رأينا الهلال ولم نؤمر بأن نصوم إِذَا وُلِد الهلال؛ لأن ولادة الهلال أمرٌ خفي تحتاج إِلَىٰ عِلمٍ مخصوص، لكن أُمِرنا أن نصوم إِذَا رأينا الهلال، وكل صاحب عينٍ يستطيع أن يرى الهلال.

فمواقيت الصلاة هي مُعلقَة بأمور ظاهرة، فالمقصود بأننا أُمَّةُ أُمية: أن ديننا ظاهر مُعلَق بأمورٍ ظاهرة، وليس المقصود: أننا لا نعرف القراءة والكتابة، بل ديننا دين عِلمٍ والحمد لله.

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]؛ (ما) هنا تحتمل أن تكون: مصدرية، فيكون القسَم: بالكتابة، وتحتمل أن تكون: موصولة، فيكون القسَم: بالمكتوب.

فَإِذَا كانت ما مصدرية؛ فيكون القسم: بالكتابة، وفي هٰذَا بيان شرف الكتابة، وإِذَا كانت ما موصولة؛ فيكون القسم: بالمكتوب.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]؛ يعني: ما يكتبون، لكن مَن هم الَّذِين يكتبون؟ قَالَ بعض أهل العِلم: هم العباد؛ أي: وما يكتبه العباد في كُتُبِهم، وقَالَ بعض أهل العِلم: هم الملائكة الكَتَبَة الَّذِين يكتبون أعمال العباد.

والظاهر واللهُ أَعْلَمُ: شمول الآية لكل قلم، ولكل كاتبٍ، ولكل مكتوب، فيدخل في الآية كل قلم، ويدخل في الآية كل كاتب، ويدخل في الآية كل مكتوب.

(حيث مْنَ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل، الَّذِي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا)؛ مع أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقرأ ولا يكتب جاء الناس بأكمل ما يكون صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢])؛ يعني: يا رسولنا، و(ب) الباء هنا قيل سببية؛ أي: ما أنت بسبب نعمة ربك عليك بالعقل بمجنون.

وقيل متعلقة بحالٍ مُقدَر؛ والمعنى: ما أنت بمجنونٍ فأنت بريءٌ من الجنون، حال كونك متلبسًا بنِعمَة النبوة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقيل المعنى: ما أنت بما جئت به من الوحي بمجنون كما يتهمك الكفار.

المعلوم يا إخوة: أن الناس قبل بِعثَة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة كانوا يمدحون النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحًا عظيمًا، فلما بُعِث قَالَوا: إنك مجنون، إِذًا عَلَىٰ هٰذَا القول يكون المعنى: ما أنت بما بُعِثت به بمجنون، بل أنت رَسُولُ اللَّهِ أرسلك الله إِلَىٰ العالمين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ ذَكَرَ سعادته في الآخرة، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]؛ أي: عظيمًا، كما يفيده التنكير غير مقطوع، بل هو دائمٌ مستمر، وذلك لما أسلفه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة، ولهذا قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلُقِك الَّذِي مْنَ الله عليك به.

وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لمن سألها عنه، فقالت: "كان خُلُقه القرآن"، وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات علىٰ اتصافه صلىٰ الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق والآيات الحاثات عَلَىٰ الخلق العظيم.

(الشرح)

(﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]؛ أي: عظيمًا، كما يفيده التنكير غير مقطوع، بل هو دائمٌ مستمر)؛ فمعنى غير ممنون أي: أنه غير مقطوع بل هو دائمٌ مستمر، ولا منقوص بل هو كاملٌ، وقيل يعني: غير محسوب.

قَالَ العِلماء: "الشيء الَّذِي يُحسَب ينتهي، والشيء الَّذِي لا يُحسَب يُبارَك فيه"؛ يعني: إِذَا كان إِذَا كان الإنسان عطاءً بلا وزن؛ يعني: ليس في البيوع وغيرها فيُبارَك في هذَا العطاء، فالَّذِي يُحسَب ينقضي وينتهي، أَمَّا الَّذِي لا يُحسَب يُبارَك فيه، فقَالَوا غير ممنون يعني: غير محسوب، بل هو متتابعٌ مُبارَك.

(﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] أي: عاليًا به، مستعليًا بخُلُقِك الَّذِي مْنَ الله عليك به)؛ يعني: إنك لعَلَىٰ خُلُقٍ علوت به عَلَىٰ جميع الناس، وَلَا شَكَّ أن الإنسان بخلقه الحسن يعلو عَلَىٰ غيره، وكلما حَسُن خُلُقِك كلما ارتفعت، فبالأخلاق يرتفع المؤمن عَلَىٰ غيره، وأكمل الناس أخلاقًا هو مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو بهذَا الخلق علا عَلَىٰ غيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقَالَ بعض السَلَف معنى هذَا يعني: وإنك لعَلَىٰ دينٍ عظيم، وسماها الله خُلُقًا لأن الخُلُق من أعظم الدين، فالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ دينٍ عظيم، ومن عظمة دينه: أنه دينٌ يعتني بالأخلاق، وبُعِث النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتمم صالح الأخلاق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو ذو الخُلُق العظيم، والداعي لكل خُلُقٍ عظيم، فهو عاملٌ مُعلِم، هو عامل بالخلق فهو صاحب الأخلاق الحسنة، وهو مُعلِمٌ للأخلاق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطبوعٌ عَلَىٰ الطبع الكريم، ومتخلقٌ بالدين العظيم والأدب الرفيع، فطبعه سليم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودينه عظيم، وخُلُقه رفيع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لمن سألها عنه، فقالت: "كان خُلُقه القرآن")؛ فإِذَا أردت أن تكون عالي الأخلاق، سابقًا غيرك، ومقتديًا برسولك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليك بالقرآن؛ اهتدي بهديه، واستنِر بنوره، واعمل بما فيه تكن ذا خُلُقٍ عظيم مقتديًا برسولك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولو أن الأُمَّة تدبرت القرآن وعَمِلَت بما في القرآن لفاقت الناس، ولظهر عِزُها، ولظهر خيرها، ولأرهب الله أعداءها منها، ولكننا للأسف وصلنا إِلَىٰ درجةٍ لا يكاد المسلم يقرأ فيها القرآن، بل إِذَا

سمع المؤمن القرآن يُقرأ في بيت جيرانه يظن أن عندهم ميت، وَهٰذَا من تقصيرنًا، فيا عبد الله إِذَا أدرت أن تكون من خيار خلق الله فعليك بكتاب الله، أجعله صديقك وأنيسك، وأجعل له خير وقتك، فاقرأ وتدبر، واهتدي واعمل تكن من المُفلحين.

(وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩])؛ هٰذَا مِثالٌ عن خُلُق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن، خذ العفو فاقبل من الناس ما يستطيعون، ولا تكلِفهم ما لا يطيقون.

وأكثر مشاكل الناس: أن يتطلب الإنسان من غيره ما لا يستطيعه؛ فيتطلب الأب من ابنه ما لا يستطيعه الابن، ويتطلب الزوج من زوجته ما لا تستطيعه الزوجة، وتتطلب الزوجة من زوجها ما لا يستطيعه الزوج، وهٰذَا في الحقيقة يؤدي إِلَىٰ نكد الحياة، وتنغيص العيش، لكن لو أن الإنسان أخذ العفو فرضي بما يمكن فإنه يعيش سعيدًا، ويُسعِد مَن حوله من الناس.

✓ **والعُرف:** هو كل أمرٍ حسنٍ جاء به النَّصّ، أَوْ تعارفه المسلمون، وكان لا يخالف شرع الله.

ولا تكن جاهلًا، ولا تكن مع الجاهلين، فتكن من المُفلحين.

(﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩])؛ ما أعظم هٰذَا الخُلُق وما أحوجنا إِلَىٰ أن نتعلمه، فهي رحمةٌ جعلها الله في قلبك فلنت لهم، واللين والرِفق من غير تركٍ للحق طريق جمع قلوب الناس.

فَإِذَا أردت أن تجمع أولادك في بيتك فكن لينًا معهم، لكن من غير تفريطٍ في الحق، إِذَا أردت السعادة في بيتك فكن لينًا مع زوجتك لكن من غير تفريطٍ في الحق، وإِذَا أردت أن تكون محبوبًا مِمَن حولك لينًا معهم، إِذًا كان الله يقول لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كنت فظًا غليظ القلب وفظ القول قاسي القلب لانفضوا من حولك، فهو خُلُقٍ عظيم من أخلاق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي جاء بها القرآن.

(﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨])؛ وهٰذِه صفة الأكارِم؛ أن يشُق عليك ما يشُق عَلَىٰ أهلك، وأن يشُق عليك

ما يشُق عَلَىٰ إخوانك، فأن تكون حريصًا عَلَىٰ مَن حولك ترأف بهم وترحمهم هٰذِه صفة الأكارم، وكل ما تخلقت بهٰذِه الخليقة كلما تقربت من نبيك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا في الدنيا ومجلسًا في الآخرة.

وأي شرفٍ أعظم من أن تكون قريبًا من مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوالله لا شرف في الدنيا يوازي هٰذَا، فتكون قريبًا من النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا، وتكون قريبًا من النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسًا يوم القيامة، فإنه كلما حَسُن خُلُق المسلم كلما كان أقرب مجلسًا إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

ألا يستحق هٰذَا أن نُجاهد أنفسنا في الأخلاق الحسنة، وأن نصبر أنفسنا، وأن نربي أنفسنا عَلَىٰ الحلم والله يستحق، سُبْحَانَ اللَّهِ أحب الناس إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقرب الناس إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسًا يوم القيامة، وأقرب الناس إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفًا ألا يستحق هٰذَا أن نتعب من أجله، والله يستحق، فما أحوجنا يا إخوة إِلَىٰ أن ننشر هٰذِه الفضيلة بين أهلينا؛ فضيلة: التخلق بأخلاق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إِذَا لم يكن فيه محذور، وإن عزم عَلَىٰ أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إِلَّا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يُغلِظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إِلَىٰ عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

(**وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إِذَا لم يكن فيه محذور**)؛ نعم حَتَّىٰ مع أهله، فكان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا سهلًا إِذَا هويت زوجته شيئًا وافقها ما لم يكن مُحرمًا، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسهل الناس وألين الناس صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **فائدة تربوية يذكرها العِلماء بناءً عَلَى هذَا فيقولون:** إِذَا أردت أن تُطاع فيما تأمر فكن ليِّنًا فيما ليس بمُحرَم.

إِذَا أردت أن تُطاع في بيتك إِذَا أمرت: فكن ليِّنًا مع أهلك فيما ليس بحرام، فإن طُلِب منك وأنت قادر عليه أجب، حَتَّىٰ إِذَا أمرت أُجِبتَ، وما أحوجنا إِلَىٰ هٰذَا.

(**ولا يُمسِك عليه فلتات لسانه**)؛ الإنسان إِذَا تكلم قد تسبق كلمة، فالكريم العاقل يتغاضى كأنه ما سمع، ولا ينقل ما حصل في المجلس من فلتات اللسان، ولا يتأثر هو كأنه ما سمع شيئًا، ولا ينقل فلتات لسان جليسه، ولا سيما مَن يُعلَم أنه لا يقصد هٰذَا الكلام، لكنها فلتة وغلطة وسقطة أحيانًا، وهٰذَا من أحسن الأخلاق وأكمل الأخلاق.

(المتن)

قَالَ: فلما أنزله الله في أعلىٰ المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قَالَ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥-٦]، وقد تبين أنه أهدىٰ الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الَّذِينَ فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفىٰ بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وَهٰذَا فيه تهديدٌ للضالين، ووعدٌ للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

(الشرح)

(﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥-٦])؛ فترون رأي العين، بأي المفتون يعني: أيكم المصاب بالجنون.

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ [القلم: ٥]؛ كما يقول العِلماء: يتعدى بنفسه، فتقول: أبصرت الكتاب يتعدى بنفسه، فلِماذَا قَالَ الله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥-٦]؟ ما قَالَ سُبْحَانَهُ: فستبصر ويبصرون أيكم المفتون؟ فَلِماذَا عداه بالباء؟ قَالَ العِلماء: لأنه ضمن البصر معنى العِلم والشعور، فصار كأن في المعنى: سترون بالعين وتعلمون وتستشعرون أَوْ تشعرون بأيكم المفتون، فالباء هٰذِه مفيدة أفادتنا أنه ليس مجرد بصر، بل بصر وشعور، فستبصر ويبصرون وتشعر ويشعرون بأيكم المفتون.

وقَالَ بعض أهل العِلم: الباء هنا بمعنى: في، والمعنى فستبصر ويبصرون في أيكم الشيطان الَّذِي يؤدي إِلَىٰ الجنون.

وقَالَ بعض أهل العِلم: الباء زائدة.

وانتبهوا يا إخوة إِذَا قَالَ العِلماء: هٰذَا زائدٌ في القرآن، فليس المقصود: أنه زائد من جهة المعنى، فليس في القرآن شيء زائد، وإِنَّمَا المقصود: من جهة الإعراب اللغوي، أَمَّا من حيث المعنى فليس في القرآن شيءٌ زائد.

(**وقد تبين أنه أهدىٰ الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الَّذِينَ فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله**)؛ نعم ظهر بالآيات البينات مَن هو في ضلال، ومَن هو في هدى، ومَن هو مفتون، ومَن هو مهتدي، ويكفي ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به وهو الأعلم بعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: ١٢٥])؛ أي: انحرف عن صراطه المستقيم؛ إن ربك هو أعلم بمَن انحرف عن صراطه المستقيم.

(المتن)

قَالَ: يقول الله تَعَالَىٰ، لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [القلم: ٨] **الَّذِينَ كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلًا لأن يُطاعوا، لأنهم لا يأمرون إِلَّا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مُقدِمٌ عَلَىٰ ما يضره، وَهٰذَا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه.**

ولهذا قَالَ: ﴿**وَدُّوا**﴾ [القلم: ٩] **أي: المشركون،** ﴿**لَوْ تُدْهِنُ**﴾ [القلم: ٩] **أي: توافقهم عَلَىٰ بعض ما هم عليه، إِمَّا بالقول، أَوْ الفعل، أَوْ بالسكوت عما يتعين الكلام فيه،** ﴿**فَيُدْهِنُونَ**﴾ [القلم: ٩]، **ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه.**

(الشرح)

(﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [القلم: ٨] **الَّذِينَ كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلًا لأن يُطاعوا**)؛ وكذا كل مَن عُرِف بالكذب، فلا تصاحب كذابًا ولا تُجالِس كذابًا، ولا تُطِع كذابًا، فوالله لا خير في

الكذاب، مَن عُرِف بكثرة الكذب أحذره فلا تجالسه، ولا تصاحبه، ولا تُطِعه إن أمرك، فلن يأمرك كذابٌ بخيرٍ، ولن يشير كذابٌ بأمرٍ فيه رُشد، والكذاب -كَمَا قُلْنَا-: هو مَن يُعرَف بكثرة الكذب.

ولذلك يا إخوة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إِذَا علِم عن أحدٍ كذبة سقط من عينه حَتَّىٰ يُحدِث منها توبة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَدُّوا﴾ [القلم: ٩] أي: المشركون)؛ أي: تمنوا، وأحبوا.

﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ [القلم: ٩])؛ أي: تلين لهم وتوافقهم في آلهتهم، مأخوذٌ من الدُّهن، والدُّهن يا إخوة هو: الزيت، والزيت إِذَا وُضع عَلَىٰ الأشياء فإنه يُلينها، فودوا لو أنك تلين لهم وتوافقهم عَلَىٰ ما يقولون.

﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩])؛ معناها: فيلينون لك، وقيل: ودوا لو تلين لهم فتوافقهم عَلَىٰ بعض كُفرِهم، فإِذَا وافقتهم عَلَىٰ بعض كفرهم تمادوا في الكُفر، ما دام أنك أطعتهم في نوعٍ من الكُفر فإنه يعطيهم عذرًا فيتمادون في كفرهم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: ودوا لو أنك تُطيعهم في عبادة آلهتهم بعض الوقت، وهم يطيعونك في عبادة الله بعض الوقت؛ يعني: -وَالعِيَاذُ باللهِ- يريدون أن يكون مثلًا في شهر تُعبَد الأصنام والنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم حاشاه، وفي شهرٍ يعبدون الله مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِماذَا؟ لأن دينهم هوى؛ أَمَّا صاحب الحق ما يترك الحق، أَمَّا صاحب الهواء يمكن أن يتركه ويرجع إِلَىٰ غيره ثُمَّ يرجع وهكذا يتقلب، أَمَّا صاحب الحق فهو ثابت عَلَىٰ صراطٍ مستقيم.

(المتن)

قَالَ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] **أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إِلَّا وهو كذاب، ولا يكون كذابًا إِلَّا وهو ﴿مَهِينٍ﴾** [القلم: ١٠] **أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.**

﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم: ١١] **أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.**

﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] **أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.**

(الشرح)

(﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم: ١٠])؛ أي كثير الحلف في الحق والباطل، وهٰذَا الْثَّانِي، اَلْأَوَّلُ: الكذاب، فاحذر الكذاب لا تجالسه ولا تسمع له ولا تجالسه، وَالثَّانِي: الحلاف كثير الحلِف؛ لأن كثرة الحلِف لا تكون إِلَّا عن كذِب، فهو يكذب ويشعر أن الناس لا تصدقه.

ولذلك يحلف بدون أن يُطلَب منه، فكلما قَالَ شيئًا قَالَ والله، لِماذَا؟ لأنه يعرف أنه يكذب، ويشعر أن الناس لا يصدقونه، فكثرة الحلِف علامةٌ عَلَىٰ الكذِب، كما أنها علامةٍ عَلَىٰ قلة الورع، ولذلك لا تسمع لحلافٍ، الَّذِي يُعرَف بكثرة الحلِف انتبه لكلامه لا تنقل عنه، ولا تسمع منه.

(﴿مَهِينٍ﴾ [القلم: ١٠])؛ فمعنى مهين: حقيرٌ، وقيل كذاب، وقيل: مِكثارٌ من الشر، فكثير الحلِف حقيرٌ في نفسه، كيف حقير في نفسه؟ هو دائمًا يشعر أنه لا يُصدَق فهو حقير في نفسه، وكذابٌ في قوله في الغالب، وكثير الشر، ولذلك لا تُطِع كل حلاف.

(﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم: ١١] أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك)؛ يطعن في الناس همزًا بالإشارة ونحوها، فإِذَا رأى إنسانًا يسير وهو قصير قَالَ: كذا، أَوْ بغير ذلك من الإشارات أَوْ بالغيبة، فمَن عُرِف بكثرة هٰذَا فلا خير فيه، فلا تُجالِس الهماز، ولا تسمع له، فإن هٰذِه ليست من صفات الأخيار.

(﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١])؛ هٰذِه النَّمِيْمَة: أن يمشي الإنسان وينقل الكلام بين الناس من أجل أن يُفسِد بينهم، الحظوا يا إخوة أن الله قدم الهماز عَلَىٰ المشاء بنميم، قَالَوا: أن الهماز يكون في المجلس جالس يهمز ويغتاب وهو في المجلس، والنمام لَا بُدَّ أن يمشي فهو متحرك، والحركة بعد القعود، أَوْلًا: الجلوس في المجلس ثُمَّ المشي، فقدم الهماز عَلَىٰ النمام.

(المتن)

قَالَ: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ [القلم: ١٢] الَّذِي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، ﴿مُعْتَدٍ﴾ [القلم: ١٢] علىٰ الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض، ﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢] أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تَعَالَىٰ.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي: دعي، ليس له أصل ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يُرجىٰ منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يُعرَف بها.

وحاصل هٰذَا أن الله تعالىٰ نهىٰ عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصًا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر عَلَىٰ الحق وعَلَىٰ الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.

(الشرح)

(﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ [القلم: ١٢])؛ أي: أنه كثير المنع للخير: الحسي، والمعنوي، فيمنع المال وما يتصدق، ويمنع الخير إِذَا رأى ابنه، أَوْ أخاه، أَوْ جاره قد استقام عَلَىٰ دين الله غضب ونهاه، وقَالَ: أنت متشدد لِمَاذَا تُعفي لحيتك؟ لِمَاذَا تُقصِر ثوبك إِلَىٰ الكعب، فيمنع الخير حِسًا أَوْ معنى، والَّذِي لا يُقرِبُك من الخير لا فائدة من مجالسته بل مجالسته شر.

فلا تُطِع من عُرِف بمنع الخير، ومَن عُرِف بالبخل، ومَن عُرِف بمعاداة الدعوة الصحيحة، ومَن عُرِف بمعاداة السُّنَّة لا تُطِعه فإنه لا يأتيك بخير.

(الَّذِي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك)؛ والراجح والصواب: أن هٰذَا يشمل كل منع خيرٍ سواء كان في المال أَوْ غير المال.

(﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢])؛ نعم فالَّذِي عُرِف بالعدوان عَلَىٰ خلق الله وبالجرأة عَلَىٰ محارم الله أحذره، فلا تُجالِسه، ولا تسمع له، ولا تُطِعه.

(له زنمة أي: علامة في الشر، يُعرَف بها)؛ وأصل الزنمة: الأمران المتدليان من حَلقِ الشاه، أحيانًا يكون هناك شيئان متدليان من حلقِ الشاة وليس في جميع الغنم، وإِنَّمَا في بعضها فتُعرَف بها علامة، وكل هٰذِه يا إخوة أخلاقٌ مذمومة، وهي صفاتٌ يجب الحذر من أهلها وعدم مجالستهم.

✪ **وفي هذا إشارة إلى: صفات الصديق والجليس الصالح:** أن يكون صادقًا، وأن يكون وَرِعًا قليل الحلِف، وأن يكون حافظًا للسانه فلا يغتاب ولا يعيب الناس، وأن يكون كريمًا مشجعًا عَلَىٰ الخير، وأن يكون متقيًا لله لا يجرؤ عَلَىٰ محارِم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ: وَهٰذِه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أَوْ غيره لقوله عنه: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٤-١٥] أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغىٰ واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، الَّتِي يمكن صدقها وكذبها، فإنها عامةٌ في كل مَن اتصف بهذا الوصف؛ لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأُمَّة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سببٍ أَوْ في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ثُمَّ توعد تَعَالَىٰ من جرىٰ منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه عَلَىٰ خرطومه في العذاب، وليعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه.

(الشرح)

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]؛ سنضع علامةً عَلَىٰ وجهه، وهٰذِه العلامة بعض أهل العِلم قَالَ: حسية؛ فسيُضرَب بالسيف عَلَىٰ وجهه فتكون هٰذِه علامة، وبعض العِلم قَالَ: معنوية؛ فيعرف الناس أنه كذاب، ويوم القيامة يسود وجهه حيث تسود وجوه أهل الشر، وتبيض وجوه أهل الخير، وَالسُّنَّة.

﴿الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]؛ الخرطوم أصله: الأنف، ويُطلَق عَلَىٰ الوجه، والمقصود: سنفضحه في الدنيا والآخرة.

بهٰذَا نكون انتهينا من الكلام عن المقطع اَلْأَوَّلُ، وغدًا إن شاء الله في مثل هٰذَا الوقت نأخذ المقطع الْثَّانِي وَالَّذِي يليه ونفسرها إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الأسئلة

السؤال: امرأة جاءتها الدورة ومرت بالميقات ولم تُحرِم وهي الآن في مكة، فإذَا طَهُرَت مَاذَا تفعل؟

الجواب: نقول: إن كانت عند مرورها بالميقات مريدةً للعمرة غير أن الحيض جاءها فلم تنوي، فإذَا طَهُرَت يجب عليها أن ترجع إِلَىٰ الميقات الَّذِي مرت به أَوْ إِلَىٰ أبعد منه وتُحرِم.

أَمَّا إذَا كانت عندما مرت بالميقات لم تنوي العمرة بمعنى: هي تعرف أن حيضها سبعة أيام، وأن رفقتها سيغادرون مكة بعد ستة أيام، فقَالَت: ما أستطيع أعتمر خلاص سأذهب معهم وأبقى في الفندق وأسافر معهم فلا أريد العمرة، ثُمَّ عندما وصلت مكة بعد خمس أيام طَهُرَت وذهب الحيض وأرادت أن تعتمر نقول: تخرج إِلَىٰ التنعيم، أَوْ إِلَىٰ أي حِلٍ وتُحرِم منه؛ لأنها عندما مرت بالميقات ما كانت تريد العمرة فلا يلزمها أن ترجع إِلَىٰ الميقات.

طيب لو أنها نوت من الميقات ثُمَّ طَهُرَت نقول: ما تحتاج إِلَىٰ شيء مباشرةً تذهب إِلَىٰ الكعبة، فما يحتاج أن تخرج إِلَىٰ الحِل كما يظن العوام، فالحائض إذَا نوت من الميقات العمرة وبقيت مُحرِمَة إِلَىٰ أن طَهُرَت فَإذَا طَهُرَت تغتسل في الفندق وتنزل إِلَىٰ الكعبة ما يحتاج تخرج إِلَىٰ الحِل.

السؤال: يقول مَن وصل إِلَىٰ مكة في هٰذِه الليالي المباركة هل يشتغل بصلاة القيام، أم يعتمر؟

الجواب: أظن أن السائل يقصد: إذَا وصلت في الليل مُحرِمًا فهل أشتغل بالعمرة، أم اشتغل بالقيام إِلَىٰ طلوع الفجر وبعد الفجر آتي بالعمرة.

أَوْلًا: يجب أن تعلم يا أخي أنه لا يلزمك أن تعتمر فور وصولك فلك أن تذهب إِلَىٰ الفندق وتنام، ولك أن تصلي مع الإمام لك أن تفعل ما تشاء، وإن كانت السُّنَّة المبادرة.

فبعض الناس يشق عَلَىٰ نفسه يصل إِلَىٰ مكة في غاية التعب وفي غاية النُعاس فيقول: لا لَا بُدَّ أن اعتمر ويذهب وربما أضاع حَتَّىٰ عدد أشواط الطواف من النُعاس فما يستفيد شيئًا، فلا يا أخي ما يلزم تعبان أذهب إِلَىٰ الفندق ونام بإحرامك وَمَتَىٰ ما نشطت تذهب إِلَىٰ الكعبة وتأتي بالعمرة.

وإذَا وصلت إِلَىٰ المسجد الحرام وهم يصلون أن تصلي معهم القيام صلي، وهٰذَا أمر حسن وفيه جمع بين الحُسنيين؛ تصلي مع الإمام حَتَّىٰ ينصرف ثُمَّ تؤدي عمرتك بعد ذلك، ولو أنك اشتغلت بالعمرة ما فيه بأس، ولكن يجب أن نعلم أن الأمر واسع، وإذَا متعت نفسك بكثير من الخير فهٰذَا خيرٌ ونور، فكونك تصلي مع الإمام ثُمَّ العمرة هٰذَا خيرٌ عظيم.

نعم أحسن إليكم هٰذَا يقول إِذَا كذب الرجل عَلَىٰ زوجته وقَالَت له أحلف هل يجوز له أن يحلف؟ أَوْلًا: ما أباحه الشارع إِنَّمَا أباحه لِحِكمَة فلا ينبغي للإنسان أن يضيع تلك الحِكمَة، فالشارع أباح المعاريض ليدفع الإنسان عن نفسه الحرج، ما هي المعاريض؟ أن يقول كلمة يسمعها السامع فيفهمها عَلَىٰ شيء وهو يريد شيئًا آخر.

يعني: جاءني رجل إِلَىٰ البيت وهو مثلًا كثير الغيبة، فما أريد أن أراه أَوْ كثير الكلام وأنا مُتعَب، وإِذَا نزلت إليه يأخذ ساعة يتكلم، فأقول للولد قل له: أبي راقد، هو يفهم راقد يعني نائم، وأنا أقصد براقد: مضطجع عَلَىٰ الفراش، فَهٰذِه المعاريض هي ممدوحة عن الكذب، لكن لا يجب أن نستعملها كثيرًا لأن إِذَا استعملناها كثيرًا سقطت الثقة فينا.

كذلك الكذب عَلَىٰ الزوجة كذب الزوجة عَلَىٰ الزوج أباحه الشرع لتطيب الحياة لا لتضيع الحقوق، انتبهوا يا إخوة يقول العِلماء: **"الكذب عَلَىٰ الزوجة جائزٌ في غير الحقوق"**، أَمَّا الحقوق ما يجوز فيها الكذب يعطيها حقها، لكن يكذب عليها بما تطيب به الحياة، لكن يا إخوة لا ينبغي للزوج ولا للزوجة الإكثار من هٰذَا؛ لأنه إِذَا أكثر من هٰذَا ذهبت فائدته.

ويمكن للزوج أن يحلف معرضًا؛ هي مثلًا: لا تحب منه أن يكلم زيدًا من الناس وإِذَا عرفت أنه يكلمه أَوْ كلمه بالهاتف تزعل، فلو جاءت وَقَالَت: أنت تكلم فلان؟ قَالَ: لا أنا أكلم أخي، قَالَت: احلف، قَالَ: والله كنت أكلم أخي وهو يقصد في الله، وهي تفهم أخوه الَّذِي ترضى أن يكلمه، وأعود وأقول يا إخوة: ينبغي أن نستعمل المباح فيما يحقق المقصود.

السؤال: يقول قائل: توفي صديق لي فهل يصح أن أعمل عمرة عنه؟

الجواب: أَوْلًا يا إخوة دائمًا: أُرشد إِلَىٰ هٰذَا؛ إِذَا ذكرت ميتًا فقل رَحِمَهُ اللَّهُ، عود نفسك عَلَىٰ أن تقول رَحِمَهُ اللَّهُ تنفعه بهٰذِه الدعوة، والسامع يقول: أمين فتنفعه بذلك، هٰذَا أَوْلًا.

ثانيًا: الميت الَّذِي مات عَلَىٰ الإسلام يجوز لك أن تعتمر عنه ولو لم يكن قريبًا لك، بشرط: أن تكون قد اعتمرت عن نفسك، ولا تحتاج أن تستأذن أحدًا؛ فما يحتاج أن تستأذن أهله فيجوز أن تنوي العمرة عنه وتعتمر عنه، ما دام أنه مات عَلَىٰ الإسلام، ولو لم يكن قريبًا ولو لم يكن صديقًا.

يعني: لو سمعت عن مسلم كان يعمل أعمالًا حسنة وطيبة ومات وأردت أن تبره بعمرة يجوز وتعتمر عنه، بشرط: أن تكون قد اعتمرت عن نفسك.

السؤال: هٰذِه امرأة تقول هل للمرأة أن تقرأ القرآن حال حيضها؟

الجواب: المرأة لا يجوز لها أن تمس المصحف حال حيضها، ويجوز لها أن تقرأ من حفظها عَلَىٰ الراجح، فتقرأ القرآن غيبًا أَوْ تستمع القرآن، وإِذَا احتاجت أن تقرأ من المصحف فإنها تقرأ بالنظر من غير مس، واليوم الجوال حل هٰذِه المشكلة؛ لأن مس المرأة الحائض للجوال ليس مسًا للمصحف وإن كان فيه المصحف، فيمكن أن تُمسِك المصحف وتقرأ في الجوال، أَوْ إِذَا كان المصحف فإنها تقرأ بالنظر، لكنها لا تمس المصحف وَإِنَّمَا تقلبه بالقلم مثلًا من غير مسٍ للمصحف.

أسأل الله أن يفقهنا في دينه، وأن ينفعنا بالعِلم، والله تَعَالَىٰ أعَلَىٰ وأعلم.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.